الأداة في قصيدة وصف الطبيعة لابن خفاجة

د . طارق البهلول ســـلامة د . هاجر عبدالله علي البشكار.
كليـــــــة التربية / الـــــــزاوية ـ جامعة الزاوية

توطئـــــة :

الأدوات النحوية أو المفردات أو حـــروف المعاني مصطلحات أطلقها النحويون على تلك الكلمات التي لا تحمل دلالة مستقلة في ذاتها ؛ بل تكتسب دلالاتها من السياق اللغوي، وقد اهتم علماء العربية بدراسة الأدوات النحوية ، وألفوا فيها المصنفات النحوية وجعلوا لها كتبًا خاصّة بها ، وذكروا تراكيبها ومعانيها .

وفي هذا البحث حاولنا دراسة هذه الأدوات من خلال التراكيب المختلفة ،وتتبع معانيها في المواضع التي وردت فيها ، وبيان ما إذا كانت هذه الأدوات عاملة أم مهملة ومعرفـــة تأثيراتها النحوية والدلالية في المواضع التي وردت فيها في قصـــيدة وصف الطبيعة لابن خفاجة ، مع الأخذ في الاعتبار أن دراسة الأدوات النحوية بحث متشعب واسع ويحتاج لسبر أغواره وتحديد دلالة الأدوات في مواضعها التي وردت فيه ومقارنة هذه الدلالة بما ورد في كتب علماء العربية القدامى والمحدثين .

Grammatical tools, vocabulary, or particles are terms used by grammarians to refer to words that do not have independent meanings but derive their meanings from the linguistic context. Arab scholars have paid great attention to studying these grammatical tools and have authored many works dedicated to them, detailing their structures and meanings.

In this research, we aimed to study these tools through different constructions and trace their meanings in the contexts in which they appear. We also sought to determine whether these tools are operative or not, and to understand their grammatical and semantic effects in the contexts they appear in, specifically in Ibn Khafajah's poem describing nature.

أهميـــــة البحث :

دراسة الأداة في قصيدة ابن خفاجة ليست مجرد تحليل لغوي ؛ بل هي بوابة لفهم عميق للجانب الجمالي والإنساني في شعره مما يبرز أهمية البحث في الأدب العربي .

ولتخطيط البحث بصورة علمية كان لزامًا علينا تقسيم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، أما التمهيد فتحدثنا فيه عن مصطلح الأداة عند علماء اللغة السابقين والمتأخرين ، ووظيفة الأداة في كلام العرب ، وجاء المبحث الأول بعنوان : الأدوات الداخلة على الفعل ، ذكرنا فيه الأدوات المختصة الداخلة على الفعل ، منها العاملة ومنها المهملة ، وأما المبحث الثاني جاء بعنوان : الأدوات الداخلة على الاسم ، ذكرنا فيه بعض الأدوات التي تدخل على الاسم فتعمل فيه ، وأما المبحث الثالث فكان بعنوان : الأدوات المشتركة بين الفعل والاسم في قصيدة وصف الطبيعة لابن خفاجة .

قصيدة وصف الطبيعة لابن خفاجة :

ابن خفاجة شاعر سابق شعراء عصره في وصف الطبيعة حيث عرف عند المؤرخين بذلك ، ومنهم المقري عن الحجازي حيث يقول :" وهم أشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والطيار والرؤوس لا ينازعهم أحد في هذا الشأن ، وابن خفاجة سابقهم في هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان " (11)

المنهج المتبع في هذا البحث :

سيكون اعتمادي في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يعتمد التحليل ويجعله أساسا مهما فيه ، حيث يتم تحديد السمات والخصائص السياقية المراد دراستها للأدوات في القصيدة ثم عرض آراء النحاة في هذه الخصائص ، ليتسنى لي تحليل المعنى الدلالي للبيت موضع حضور الأداة .

الأداة في اللغة :

يدور معنى الأداة في العربية حول معنى الوسيلة الضرورية التي يتوصل بها الإنسان لتحقيق ما يريد ، يقول الخليل :" وألف الأداة هي الواو لأنك تقول : أدوات لكل ذي حرفة أداة ، وهي آلته التي يقيم بها حرفته ، وأداة الحرب : السلاح ، ورجل مؤد : كامل السلاح " (1)، والأدوات جمع مفرده أداة ومعنى الأداة في اللغة : الآلة أي: ما يستعان بها للوصول إلى تحقيق بعض الأمور ، كآلات الحرب من السلاح، وغيره مما يستعان بها للقتال ، والسكين للقطع ، والإبرة للخياطة ، والقلم للكتابة ، ونحو ذلك ، فيقال لهذه الآلات أدوات (2).

وجعل العسكري العلوم التي تساعد على إنشاء الرسائل الأدبية ، علوم الآلات أو علوم الأدوات ، حيث يقول :" ينبي أن تعلم أن الكتابة الجيدة تحتاج إلى أدوات جمة ، وآلات كثيرة من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ وإصابة المعنى وإلى الحساب وعلم المساحة والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة " [3]

الأداة في مصطلـــح علماء اللغة :

فهذا المصطلح عند سيبويه جاء مساويا لمصطلح الحرف ، حيث يقول :" وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر ، وأكثرها الواو ،ثم الباء" [4] ، وكذلك الرأي عند السيوطي حيث إن الأداة جاءت عنده بمعنى الحرف يقول :" وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف" [5] ، وقد ذكر المرادي أن من الأسماء ما يدل على :" معنيين : معنى في نفسه ، ومعنى في غيره ،كأسماء الاستفهام أو الشرط ، فإن كل واحد منها يدل بسبب تضمنه على المعنى الذي وضع له ،فإذا قلت مثلا : من يقم أقم معه ، فقد دلت (من) على شخص عاقل بالوضع ودلت مع ذلك على ارتباط جملة الجزاء بجملة الشرط لتضمنها معنى (إن) الشرطية " [6] ، وأما ابن هشام فجعل مصطلح المفردات تفسيرا لمصطلح الأداة فقال :" وأعني بالمفردات الحروف وما تضمن معناها من الأسماء والظروف" [7] ، وفي عرف علماء اللغة يطلق مصطلح الأداة على الحروف من باب الشمول ،ذلك لأن الأداة تكون اسما أو فعلا أو حرفا ، وهذا أمر شاع عند النحاة في تأليف كتبهم ، فكان كتاب معاني الحروف للفارسي ، والجنى الداني في حروف المعاني وغير ذلك مما ألف في هذا المجال [8].

ولعل التعبير بمصطلح الأداة أدق وأوضـــح من مصطلح الحرف، فالأداة بنية لغوية لا تخضع لقوانين وأوزان علم الصرف ، ولا يمكن تحديد معناها بشكل مطلق وتام ؛ وإنما يتحدد معناها في المحل الذي ترد فيه ، أي أنها محكومة بما قبلها أو بعدها في التركيب .

وظيفة الأداة في الكلام العربي :

تؤدي الأدوات داخل التركيب اللغوي وظائف عدة ، منها ما هو لفظي يتعلق بالتركيب ذاته ، ومنها ما هو دلالي معنوي ، يهدف إلى الوصول إلى المعنى .

ومن الوظائف التي تؤديها الأداة داخل التركيب وظيفة الاختصار ، فقد تغني الأداة عن وجود كلمة أخرى كاسم أو فعل ، كقولنا : يا محمد ، أغنت أداة النداء عن وجود

الفعل (أدعو) . وأحيانا تقوم الأداة بتسهيل الوصول إلى معنى بعينه مثلا: الاختصاص ومعنى الاستدراك ، ومعنى النفي وغير ذلك من المعاني ، كما تمكن الأداة داخل التركيب اللغوي وظيفة الربط أو التعالق اللغوي بين الكلمات كالعطف ومعنى التخيير ومعنى التوكيد ومعنى التعليل والنسخ ، إضافة إلى معان أخرى للأدوات سيتم توضيحها من خلال هذا البحث .

كما أن البحث في وظيفة الأداة النحوية دقيق واسع متشابك ، حيث إن هذه الجزئية من الكلمات في العربية كثيرة الدوران عظيمة الأهمية في فهم معاني الكلام ، كما أن للأدوات النحوية دورًا كبيرًا في العلاقات النحوية ، فنحن نجدها في أغلب أبواب النحو تقريبًا مع اختلاف دلالاتها باختلاف الكلام الذي وردت فيه.

الدلالة التركيبية للأدوات في القصيدة :

تنقسم الأداة في العربية من حيث العمل إلى قسمين : عاملة وغير عاملة ،ومن حيث وجودها في الجملة تنقسم إلى أدوات داخلة على الفعل ، وأدوات داخلة على الاسم .

المبحث الأول ـ الأدوات الداخلة على الفعل :

من الأدوات المختصة الداخلة على الفعل (قد ـ لم ـ لن ـ كي ..) ، منها العاملة ومنها المهملة ؛ وعندما نقول الداخلة على الفعل فهذا لا يعني أبدًا اغفال أن الفعل جزء أساسي من تركيب لغوي مترابط وهو الجملة الفعلية .

أـ قـــد : حرف مختص بالدخول على الفعل ، (الماضي _ المضارع) تختلف دلالتها باختلاف الفعل الداخلة عليه ،فإن دخلت على الفعل الماضي كانت للتحقيق والتوكيد[12]، نحو قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون) [13]، وإذا دخلت على الفعل المضارع كانت للتوقع أحيانا وهو الأكثر ورودً ا وتكون أحيانًا للتوكيد وهو القليل [14]، و(قد) حرف لايليه إلا الفعل يقول سيبويه :" (قد) من الحروف التي لايليها بعدها إلا الفعل " [15] ، وإذا كانت (قد) مختصة بالدخول على الفعل إلا أن الفعل لا يمثل إلا الجملة الفعلية ، وردت (قد) في القصيدة في مواضع منها :

قد رق حتى ظـن قرصـــا مفرغـا من فضــة في بـردة خضــراء [16]

فالشاعـــر يصوّر لنا جمال منظر بديع من خلال استعماله بعض التركيبات اللغوية ذات المعاني المجازية لتمثيل صورة الورود التي تمتاز برقتها من خلال معنى التوكيد الذي تؤديه الأداة (قد) مع الفعل الماضي (رق) ، وقد ذهب الخليل إلى أن أن (قد) في مثل هذا الموضع تدل على أن المتلقي ينتظر حدوث الخبر [17]

فالنحاة يرون أن (قد تقرب الحدث في الزمن الماضي من الزمن الحاضر ، ويذكر الدكتور تمام حسان أن هذه الصورة تدل على الماضي المنتهي بالحاضر [18]

ويقول في موضع آخر:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء [19]

الفعل الماضي يدل دائمًا على معنى الثبوت والتوكيد ، وإذا دخلت عليه (قد) زاد توكيدًا وثباتًا ، إلا أن هناك معنى آخر يضاف للجملة الفعلية التي دخلت عليها الأداة (قد) وهو معنى الحالية ، كما في هذا البيت ، فالفعل الماضي (جرى) هنا يدل على امتداد الحدث إلى الحاضر ولا يدل على انقطاع أو انتهاء الحدث .

فالصيغة التي وردت في هذا البيت تفيد معنى الحال كما ذهب إلى ذلك النحويون ، يقول ابن هشام :" لأن الماضي لا يجوز أن يقع حالًا لعدم دلالته عليه ، فإن جئت معه بقد جاز أن يقع حالًا ،لأن قد تقرب الماضي من الحال" [20]

ب ـ الفاء العاطفـــة : عَرفَ النحاةُ للفاء معاني ثلاثة هي العطف والجزاء والزيادة [21] ،وقد أشـــار الفراء إلي فاء الجزاء[22] ؛ كما أشار إلي زيادتها [23] ، وقد عرف فيها الأخفش معني التعليل في قوله - تعالى - : **(حَتَّي إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ)** [24] قال: (فَقَتَلَهَ) لأن اللقاء كان علة للقتل [25] ، وأشار الفارســـي إلي المعاني الثلاثـــة، ومثَّل لمعنى الجزاء بقوله - تعالى- : **(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ)** [26]

وعلى أن (ما) شرطية [27] الفاء عند النحاة عاطفة أو جوابية أو زائدة ، وما يعنينا هنا فاء السببية التي تفيد بأن ما بعدها سبب فيما قبلها [28] .

ومثالها في القصيدة قول ابن خفاجة :

ورداء ليل بات فيه معانقي طيف ألم كظبية الوعساء

فجمعت بين رضابه وشرابه وشربت من ريق ومن صهباء [29]

البيت الأول سبب في حدوث البيت الثاني ، والرابط بينهما الفاء في (جمعت) ، فالمعنى الذي أفادته الفاء في هذا البيت هو معنى العلة أو السببية ، الذي يضاف إلى معنى الربط والاتساق ، فلجمال هذا الطيف وخفته التي يشبه فيها خفة وجمال الظبي على الرمال بات الشاعر معانقا لهذا الطيف الجميل .

المبحث الثاني ـ الأدوات الداخلة على الاســم :

هناك بعض الأدوات التي تدخل على الاسم فتعمل فيه ، ومن أهم هذه الأدوات هي أدوات الجر ؛ لأن الجر علامة رئيسة من علامات الاسم التي تميزه عن غيره من أقسام الكلم

أدوات الجر في القصيدة :

تسمية حروف الجر مصطلح بصري ، أما الكوفيون فيسمونها بحروف الإضافة ، لأنها تربط بين الاسم والفعل ، ويطلقون عليها حروف الصفات أحيانا أخرى ، وذلك لما تحدثه هذه الحروف من معان ، وعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: " هي التي تجر معاني الأفعال إلى الأسماء لأنك إذا قلت : (مررت بزيد) فاتصل معنى المرور بزيد أو باعتبار عملها ، فيكون من قبيل تسمية المأثر بالسم الأثر ، كما سميت حروف الجر لأن عملها الجر " [30]

أ ـ في : جعل البصريون معنى الحرف (فـــي) الظرفية ، بل إنهم لم يثبتوا له سوى هذا المعنى [31] ، وهي بهذا المعنى تجعل الشيء يحل في غيره ، فيكون ما بعدها مغايرا لما قبلها [32] ، وهذه الظرفية إما أن تكون مكانية نحو : المال في الكيس ، أو ظرفية زمانية نحو : سرت في سنة كذا .

ومن معاني (في) في القصيدة الظرفية الزمانية ، نحو قول ابن خفاجة :

ولثمت في ظلماء ليلة وفرة شفقا هناك لوجنة حمراء [33]

حيث أفادت (في) مع عملها وهو الجر معنى الظرفية الزمانية الذي يفهم من كلمة (ليلة) ، أو مكانية نحو قوله:

وتميس في أثوابه ريحانة كرعت على ظمإ بجدول ماء (34)

عـــــن : من الحروف الجارة التي جعل لها النحويون معان عدة ، وجعل لها البصريون معنى المجاوزة دون غيره من المعاني .
ومن مثل ذلك قول الشاعر:

فرغبت عن نور الصباح لنورة أغرى لها ببنفسج الظلماء (35)

في هذا البيت أفاد الحرف (في) معنى المجاوزة والترك والانصراف عن نور الصباح إلى نور أجمل كما يراه الشاعر، وهذا المعنى هو أشهر معانيها ، ولم يثبت البصريون لها غير هذا المعنى ، ولم يثبت سيبويه غيره (36)
مـــن : تأتـــــي الأداة (من) في العربية لمعان عدة منها: ابتداء الغاية حيث يقول سيبويه : " وذلك قولك من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا ، وتقول إذا كتبت كتابا من فلان إلى فلان" (37) ، وقد تدل على معنى التبعيض كقوله تعالى :" **منهم من كلم الله**" (38) ، وهناك معنى آخر وهو (من) الزائدة وهي لدلالة التوكيد في الكلام ليكون ذكرها في الكلام كسقوطها ، نحو قوله تعالى : " مالكم من إله غيره" (39) .
ومن مثل ذلك قول الشاعر:

لله نهر سال في بطحاء أشهى وروداً من لمى الحسناء (40)

فالشاعر يصف متعجبا من جمال هذا النهر المنساب ، والذي يجري في أرض منبسطة واسعة ويقول هو أشهى وأمتع وأجمل وروداً من شفتي الفتاة الجميلة ، وهو دائم الجريان بدليل كلمة (سال) . فمن خلال هذا المعنى نفهم أن دلالة الأداة (مـن) في هذا البيت كانت للمفاضلة بين شيئين ،وهي في مثل هذا الموضع مختلف في معناها بين النحاة أي : الملازمة لأفعل التفضيل ، فذهب سيبويه إلى أنها لابتداء الغاية ولا تخلو من التبعيض (41) ؛ ولكننا نرى أنها في مثل هذا الموضع تكون للمجاوزة واسم التفضيل يحمل في مدلوله هذا المعنى . ويقـــول :

فلويت معطفها اعتناقا حسبها فيه بقطر الدمع من أنواء [42]

أفادت من في هذا البيت معنى التبعيض بدليل أنه يمكن الاستغناء عنها بـ(بعض) وإلى هذا ذهب بعض النحاة ومنهم سيبويه [43] . زبشكل عام، تسهم الأدوات النحوية في إضفاء القوة التعبيرية على النص، وتساعد في توصيل مشاعر الشاعر وتجربته العاطفية بشكل عميق ومؤثر. ويقول :

والفجر ينظر من وراء غمامة عن مقلة كحلت بها زرقاء [44]

فالتعبير هنا للمقلة هو تعبير عن الحدة وصفاء النظر ، والأداة (من) بمعنى الزيادة بدليل استقامة الكلام في حال حذفها ، تستخدم "من" كأداة جر لتحديد مصدر أو جهة النظر، حيث تعبر عن موقع الفجر الذي "ينظر من وراء غمامة" ، توحي هذه الأداة بالعمق البصري وتضفي بعدًا على المشهد، مما يساعد في تصوير الحالة بصورة أعمق.

كما تعد "و" أداة عطف تربط بين جملتين، حيث تساهم في الانتقال من الحديث عن الفجر إلى وصف المقلة. هنا، تعزز "و" من الإحساس بالتتابع الزمني والمكاني، مما يخلق تواصلًا بين العنصرين.

تلعب الأدوات اللغوية في هذا البيت دورًا حيويًا في بناء الصورة الشعرية، حيث تعزز من ترابط المشاهد وتعكس العواطف. استخدام الأدوات يساهم في خلق عمق وصورة جمالية تعكس تجارب الشاعر في وصف الطبيعة وجمالها.

المبحث الثالث ـ الأدوات المشتركة (حروف العطف) :

أما وظيفة الربط بالعطف، فهي وصل الكلام بعضه ببعض، والإشراك بين طرفي العطف والمعطوف عليه [45] ، فالعطف يـؤدي إلى ربط الجمل بعضها ببعض، واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولي، والأخذ في جملة ليست من الأولي في شيء [46]،وتربط الأداة بين الكلمات المتتالية حتي تصير بالعطف متلاحمة، كما في قوله - تعالي- :﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [47]

فالجمل في هذه الآية الكريمة متتاليات و معطوفات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا، بحيث إذا أفردت كل جملة قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها [48] ، والعطف: في هذه الآية أدّي إلي إشراك الجمل المتتالية المعبرة عن الطوفان كما تستقل كل جملة لتدل على معناها [49]

الـــــــواو : للواو معانٍ عدة ، منها معنى العطف ومعنى الاستئناف ، ومعنى القسم وواو الحال يعطف بالواو آخر الاسم على الأول، أو آخر الفعل على الأول، أو آخر الظرف على الأول [50] ، وهي تُشرك ما قبلها مع ما بعدها في الحكم المطلق الجمع، فليس في قولك مررت بزيد وعمرو دليل على بدئك بأيهما، لأنه يجوز أن تقول: مررت بزيد وعمرو، والمبدوء في المرور عمرو، ويجوز أن يكون زيدا، ويجوز أن يكون المرور وقع عليها في حالة واحدة، فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني[51] ، وهذا معناه عند المبرد أيضًا الذي استدل بقول الله – تعالـــى - : (**وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**)[52] ؛ إذ إن السجود بعد الركوع ، وقد تبعهما ابن السّراج في ذلك [53] ، وكذلك الزجاجي[54] ، والرماني[55] ، أما ابن فارس فقد قال: (إنها تأتي بمعنى التفرق فتدل على الترتيب، كما تأتي بمعنى الاجتماع) [56] ، وقد عرض المرادي خلافهم في ذلك حين نقل القول بالترتيب عن قطرب وثعلب، كما نقل عن ابن كيسان أنها في أغلب أحوالها للجمع؛ حتى يكون في اللام ما يدل على التفرق [57]، ومن وردوها في المصاحبة ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ** ﴾ [58] ، وفي السابقة: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيم**) [59]، وفي المتأخر : (**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**) [60] ، واستدل لذلك بأن التثنية مختصرة من العطف بالواو، فكما تحتمل ثلاثة معان، ولا دلالة في لفظها علي تقديم ولا تأخير، فكذلك العطف بها، وباستعمالها [61] فمن مثل الواو التي تحمل معنى العطف قول الشاعر:

فجمعت بين رضابه وشرابه وشربت من ريق ومن صهباء [62]

فالجر في الاسم (شرابه) ناتج من وجود الواو العاطفة ، بالإضافة إلى العمل المعنوي وهو الربط والجمع ، كما كان ذلك في الشطر الثاني إلا أن الحركة الإعرابية لم تظهر ؛ لأن العمل كان في الجملة الفعلية .

ويقول ابن خفاجة :

حمراء صافية تطيب بنفسها وغنائها وخلائق الندماء[63]

عملت الواو العاطفة في هذا البيت عمل العطف من خلال عطف (غنائها) و(خلائق الندماء) على بنفسها . وهو من الوصف في ذكر مجالس اللهو، وقد كان لبيئة الأندلس تأثيرٌ كبيرٌ في دفع الشعراء نحو هذا النوع من الوصف نظرًا لما كانت تتمتّع به رياض الأندلس من مجالس للهو ونحو ذلك، فيتجه الشّاعر إلى وصف المجالس وكؤوس الخمر ومن يشاركه ذلك المجلس – أيضًا-

ثـــــم : كما ذهب ابن هشام تقتضي الأداة (ثم) أمورا ثلاثة هي: التشريك في الحكم ، والترتيب ، والمهلة ، فيقول: " أما التشريك فزعم الأخفش والكوفيون أنه قد يتخلف ،وذلك بأن تقع زائدة ،فلا تكون عاطفة البتة " [64]. وأضاف الإستربادي إلى أن (ثم) قد تأتي لمجرد الترتيب في الذكر والتدرج في الارتقاء فقال :" قد تجيء (ثم) لمجرد الترتيب في الذكر ،والتدرج في درج الارتقاء وذكر ماهو الأولى ثم الأولى من دون اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج ولا أن الثاني بعد الأول في الزمان بل ربما يكون قبله" [65]، ومن المواضع التي وردت فيها الأداة (ثم) في القصيدة قول الشاعر:

والليل مشمط الذوائب كبرة خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والسكر يسحب فرعه ويجر من طرب فضول رداء [66]

فهو يصف طيفًا جميلًا أمضى معه الليل وكأنه المحبوب في وجوده ، ويصور لنا انصرافه قليلاً قليلاً وكأنه عجوز كبير في السن ، وهو عائد لمكانه يسحب سواده لاقتراب الصبح وهو طرب هائم. والعطف في البيتين السابقين هو عطف جملة ذات فعل ماض على جملة ذات فعل مضارع ، ويذكر النحاة أنه يجوز عطف الفعل على الفعل بشرط اتحاد زمانيهما في المضي والاستقبال سواء اتحد نوعهما أم اختلفا نوعا ، فيعطف الماضي على المضارع ويعطف المضارع على الماضي [67] ، وعطف الجملتين كما ذهب بعض النحاة في مثل هذا الموضع يرجع إلى إرادة المتكلم والكلام في معنى واحد [68]، وما وقع من عطف في البيتين هو من باب عطف ومشاركة

جملة لجملة ؛ لأنّ الكلام واحدٌ والمتكلم تابع حديثــه مستخدما الحرف (ثم) التي تفيد المهلة في الحدث والمهلة لا تتطلب إشراكًا زمنيًّا ، لذا جاز الإشراك بحرف المشاركة (ثم) بين زمن ماضٍ وآخر حالي ، وثم هنا أفادت معنى ترتيب الأحداث .

أدوات الاستثناء : الاستثناء أسلوب يقتضي إخراج الاسم أو الكلام الواقع بعد (إلا) أو إحدى أدوات الاستثناء من حكم ما قبلها .

الأداة (إلا): أداة استثناء وقد جعلها سيبويه أصل أدوات الاستثناء ، حيث يقول :" إلّا هي الأصل وما جاء من الأدوات الأخرى محمولة عليها " [69] ؛ ولكن دلالة الأدوات تختلف باختلاف ما تدخل عليه من مدخولات ، فدلالة الأداة الداخلة على الفعل تختلف عن دلالة الأداة نفسها عندما تدخل على الاسم ، بل إن الدلالة تختلف من فعل لفعل ومن اسم إلى اسم . ومن المواضع التي اختلف فيها معنى أداة الاستثناء (إلّا) إلى معنى آخر غير الاستثناء قول الشاعر:

تفاحة الأنفاس إلا أنها حذر النوى خفاقةَ الأفياءِ [70]

فالدلالة التي تفيدها الأداة (إلا أنها) ــ من خلال التركيب إلا +أن ــ هي دلالة الاستدراك ، وهو أحد علاقات الربط النحوي ، إذ يتحقق الربط بالاستدراك على سبيل السلب بين صورتين أو أكثر ، حيث يربط " الاستدراك على سبيل السلب بين صورتين من صور المعلومات بينهما تعارض ، إذ تكونان في المقام متحدتين ، أو متشابهتين ، أو أن ذلك يكون بتناولهما لموضوعات بينهما علاقة ، لكن من خلال تجمع غير متوقع في التنشيط الموسع ، وقد يكون كل من الصورتين صادقا بالنسبة إلى عالم النص ، ولكن تحقق كل منهما بالآخر غير واضح " [71]

فدلالة الأداة (إلا) هنا نفي للنفي وليس إخراجًا ، وقد ذكر سيبويه هذا الموضع في قوله " هذا باب ما تكون فيه أن وإن مع صلتهما بمنزلة غيرهما من الأسماء ، وذلك قولهم : ما أتاني إلا أنهم قالوا كذا وكذا ، فإن في موضع اسم مرفوع كأنه قال : ما أتاني إلا قولهم كذا وكذا ، ثم قال : وزعموا أن ناسا من العرب ينصبون هذا الذي في موضع الرفع " [72] ، فهذا الوصف البديع للطيف استعمل فيه الشاعر الأداة (إلا أنها) ليصفه بأنه روح الأنفاس ومزاجها وطربها .

نتائـــج البحث :

1ـ الأدوات النحوية مصطلحات أطلقها النحويون على تلك الكلمات التي لا تتحمل دلالات مستقلة في ذاتها ؛ وإنما تكتسب دلالاتها من السياق.

2_ تنوعت الأدوات النحوية في قصيدة وصف الطبيعة لابن خفاجة فكانت بين الأدوات المختصة بالدخول على الفعل ، وبين الأدوات المختصة بالخول على الاسم ، وبين الأدوات المشتركة بينهما.

3 ـ كان لكل أداة من الأدوات الواردة في القصيدة غرضها الدلالي الذي انفردت به في محلها ، وأضافت معنى خاص بها في سياقها الذي ذكرت فيه.

4 ـ جاءت الأداة (إلا) في القصيدة لتفيد معنى الاستدراك من خلال ذكر الأداة (إن) بعدها.

الهوامـــــــــــــش :

1ـ معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي (تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي)، 98/8 ، مادة(أدي) .

2ـ ينظر: المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات ، وحامد عبدالقادر ، ومحمد النجار (تحقيق: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة للنشر) مادة (أدو)

3ـ الصناعتين للعسكري (تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986م) ، 154.

4ـ الكتاب لسيبويه (تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة الطبعة الرابعة ، 2004م)، 469/3

5ـ الاتقان في علوم القرآن السيوطي (تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية، القاهرة).،190/1

6ـ الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ، (تحقيق ، فخر الدين قباوة، و محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1992م)، 21

7_ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة)، 1/ 5.

8_ ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني (مطبعة الحلبي ،مصر) 1/ 499.

9_نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،لأحمد المقري (تحقيق :إحسان عباس ،دار صادر بيروت ، ط:3،1977م) 155/1.

10_ ينظر: مغني اللبيب ، 193/1 ،

11_سورة المؤمنون ، الآية (1) ،

12_ ينظر :الجنى الداني في حروف المعاني، 169.

13_الكتاب ، 98/1

14_الديوان ابن خفاجة (تحقيق: عبدالله سنده ، دار المعرفة ، بيروت _لبنان ، الطبع الأولى ،2006م) ، 13

15_ ينظر: معاني الحروف للرماني (تحقيق: عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1984م)، 98، و المفصل في علم العربية للزمخشري ، (دار الجيل ـ بيروت الطبعة الثانية)، 317، ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك (تحقيق: محمد حسن بركات ،242
16_ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور تمام حسان (عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 2004م)، 245.
17_ الديوان ، 14
18_ مغني اللبيب ، 228/1.
19_ الجنى الداني ، 61
20_ معاني القرآن للفراء ، (تحقيق: محمد علي النجار، و أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، 1989م)، 1/ 7، وإملاء ما منّ به الرحمن (دار الكتب العلمية بيروت، لبنان)، 241/2.
21_ المصدر السابق ، 155/3
22_ سورة الكهف من الآية 73 .
23_ معاني القرآن للأخفش (تحقيق الدكتورة : هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي)
2 /98.
24_ سورة النحل من الآية ، 53.
25_ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي (تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان) ، 403/2
26_ ينظر: المقرب لابن عصفور (تحقيق : أحمد عبدالستار الجواري ، وعبدالله الجبوري ،مطبعة الإشبيلي العاني ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1971م).، 289.
27_ الديوان ، 11
28_ العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية لعبد القاهر الجرجاني (تحقيق : البدراوي زهران ، الطبعة الثانية) 89.
29_ ينظر: المقتضب 131_ المقتضب المبرد (تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت).، 139/4، معاني الحروف للرماني ، 119_ معاني الحروف للرماني (تحقيق : عبدالفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، الطبعة الثالثة ، 1984م) 96.
30_ ينظر: الجنى الداني ، 250،
31_ الديوان ، 11
32_ المصدر السابق ،11.
33_ المصدر نفسه ،12.
34_ ينظر : الكتاب ، 4/ 226، ومعاني الحروف ، 94، و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع السيوطي (تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ، 2006م).29/3.
35_ الكتاب ،307/2
36_ سورة البقرة من الآية 252،
37_ سورة الأعراف من الآية 58.
38_ الديوان ، 12.
39_ ينظر : الكتاب ،4/ 225، وذهب المبرد وبعض النحاة إلى أنها لابتداء الغاية ولا تفيد معنى التبعيض، ينظر : مغني اللبيب ، 2/ 15.
40_ الديوان 12
41_ ينظر: الكتاب ، 4/ 225،الجنى الداني ، 309.
42_ الديوان 12

43_ الكتاب ، 734/1.
44_ شرح المفصل لابن يعيش (تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد ، راجعه : إسماعيل عبدالجواد عبد الغني ، المكتبة التوفيقية القاهرة ، مصر) ،75/3.
45_ سورة هود من الآية (44)
46_ الاتقان في علوم القرآن السيوطي (تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية، القاهرة)، 2 / 92
47_ ينظر: البحر المحيط لأبي حيان، (تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993م)، 301/7 وكذا دراسات لأسلوب القرآن الكريم محمد عبدالخالق عضيمة (دار الحديث، القاهرة)، 3 / 331
48_ الجمل في النحو، لأبي القاسم الزجاجي، (تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1996م)، 285.
49_ الكتاب 437/1 ،
50_ سورة آل عمران 43؛
51_ المقتضب للمبرد 1/ 148. ،
52_ الأصول لابن السراج 1/ 55
53_ معاني الحروف 59.
54_ الصاحبي أحمد بن فارس (تحقيق : السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العلمية ، القاهرة)، 157.
55_ الجنى الداني 158، و 160 وانظر مغني اللبيب لابن هشام 2/ 354. ،
56_ سورة العنكبوت 3،
57_ سورة الحديد 26
58_ سورة الشورى 3،
59_ همع الهوامع للسيوطي 2/ 13
60_ الديوان ، 11.
61_ المصدر السابق ، 13.
62_ مغني اللبيب ،159/1.
63_ شرح كافية ابن الحاجب ،(تحقيق : إميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية بيروت ،ط1، 1998م) 414/4.
64_ الديوان ، 11.
65_ ينظر : التسهيل ، 187 ، وهمع الهوامع ، 2/ 140،
66_ ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني المالقي،(تحقيق: احمد محمد السيد الخراط ، دار القلم ، دمشق، الطبعة الثانية ، 1985م)، 71
67_ الكتاب ، 2/ 309 ،
68_ الديوان ، 12.
69_ النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند (ترجمة : تمام حسان، عالم الكتب ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1998م) ، 1027.
70_ الكتاب 2/ 329.